بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ الأستاذ خضر شحرور

إتقان النظام

الحمد لله، الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستهديه وأسترشده، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله حكم فعدل وأعطى فأجزل، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي ارتضاه وإلى خير أمة أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، عباد الله، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد﴾ [الحج: ١-٣] اللهم أجرنا منه يا رب العالمين.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: ما زلنا مع الأمور التي يُحبها رسول الله ﷺ مِنَّا، والأمور التي تجعلنا محبوبين عند الله، وكان ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله﴾ [آل عمران: ٣١] وكان رسول الله ﷺ هو المفسر لهذه الآية، وهو المبين والشارح، لذلك قال ﷺ: (إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يُتقنه) فإتقان الأعمال هو مما يُوجب المحبة من الله سبحانه وتعالى، فَلا يُمكن لك أن تكون محبوباً من الله وأنت مهمل في دنياك، مهمل في عملك، لا تحسن العمل الذي تقوم به، ولا تَقوم به حق القيام، هذا إذا كان عملاً من أعمال الدينا، فما بالك إذا كان عملاً من أعمال الآخرة، كان ﷺ إذا كان في صلاة الجمعة أو كان في صلاة الجماعة كان يُسَوِّي الصفوف بيده، وكان يقول: (إن الله لا ينظر إلى الصف المعوج) وكان يسويها تسوية تامة، لأنه مُقبل على الله، وإذا أقبل على الله وهي عبادة ربانية إلهية لا بد أن ترتبط فيها القلوب بالله، فإذا لم تُسَوَّ الصفوف لم تسوَّ القلوب، فكان يحب لذلك أن يُتقنه، كان يُنظم للناس أعمالهم، يُنظم لهم حياتهم، يُنظم لهم شُؤونهم، كان يَأمرهم إذا كانوا ثلاثة وأرادوا السفر أن يُأمروا عليهم أن لا يَبقوا هكذا بدون إمارة عليهم، لأن الناس لاَ يصلحوا أن تكون الحياة فوضى بينهم، لا يَصلح أن يَعيش الناس فَوضويين دونما لازم لعملهم، فكان رسول الله ﷺ يُأمِّر على الجيش، وكان يَقول لهذا الأمير ولهذا الجيش: إذا استشهد فلان يَقوم مقامه فلان، وإذا استشهد فلان يَحمل الراية فلان، يُعَيِّنهم بالأسماء، حتى لا يكون هناك اجتهاد ولا يكون هناك فوضى، فالناس لا يَصلح أمرهم إلا

إذا كان منتظماً مُنضبطاً، لِذلك جعل صلاة الناس بجماعة، وأمرهم أن يُصلوا بجماعة، وجعل لهذه الجماعة إماماً، وكان يقول: (إنما جُعل الإمام ليؤتمّ به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا) حتى إن الأخطاء التي يَرتكبها الأفراد إذا كانوا في جَماعة، فإن هذه الأخطاء تذوب ويَحملها الإمام، كثير من الأخطاء التي تكون عند المسلم المقتدي يَحملها الإمام، ولا تجب عليه سجود السهو، لأن الجماعة يذوب فيها الأخطاء، ولأن الجماعة تنصهر فيها الخطايا الصغيرة، فكان رسول الله ﷺ حتى في الصلاة لا يُحب للإنسان أن يُصلي وحده، حتى إذا كان في البيت كان يأمره أن يُصلي بأهله، أن يصلي بزوجته وأولاده، هكذا يحب الله سبحانه وتعالى مِنَّا، لذلك قال رسول الله ﷺ: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته) وبدأ يُحدد المسؤوليات، حتى لا يظن النَّاس أن المسؤولية تَنحصر في الحاكم وحده، (فالرجل في بيته راع، وهو مسؤول عن رعيته) وهكذا يبين رسول الله ﷺ أن الأسرة ينبغي أن يكون لها قيادة، وحددها ربنا فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] أي الإدارة يجب أن تكون بيد الرجل، هكذا يُحدد ربنا، وهكذا يُبين رسولنا ﷺ، أن الحياة لا تَجري هكذا دونما نظام، ودونما ناظم للعمل، كان رسول الله ﷺ يُسَوِّي ذلك بنفسه، حتى إنه لما مَرِضَ مَرَض وفاته، مكث رسول الله ﷺ في بيته، وكان يَنظر إلى المسلمين من بيته وهم يَصطفون للصلاة، فيبتسم رسول الله ﷺ لأنه يرى أن المسلمين قد اجتمعوا، لأنه يرى أن الناس قد توحدت صفوفهم واجتمعت قلوبهم، كان رسول الله ﷺ يَبتسم، وكان لا يترك ذلك للناس ولاجتهادات الناس، فعين سيدنا أبا بكر رضي الله عنه ليصلي بالناس إماماً، وتقول السيدة عائشة وهي بنت سيدنا أبي بكر: يا رسول الله، إن أبا بكر لا يَتحمل هذا الفراق، لا يَتحمل أن يقف مكانك، فيغضب رسول الله ﷺ ويقول: (امروا أبا بكر فليصل بالناس إماماً) لم يترك اجتهاداً لواحد منهم، من يصلي إذا ذهب الإمام؟ من يكون مكانه؟ حتى لا يتقدم أي أحد، وحتى لا تكون هناك فوضى، وهذا ما نَجده قد سار في حياة المسلمين، فإنك تجد أمراً عجيباً عُجاباً، لا تَكاد تجد مثله إلا في أمة رسول الله ﷺ، يَنتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، يَنتقل إلى ربه، وهو يُغَسَّل ويُكفن في بيته، والمسلمون يَجتمعون تحت سَقيفة بَني ساعدة، رسول الله ﷺ لم يُدفن بعد، ما زال يُغَسَّل ويكفن، والمسلمون مُجتمعون ليختاروا الخليفة، لأن رسول الله ﷺ عَلمهم أنه لا يَصلح أمر النَّاس إلا إذا كانوا مُنتظمين، لا يَنبغي للناس أن يَعيشوا حياة الفوضى، ولا يَنبغي أن يَضطربوا ويَختلفوا، قبل أن يُدفن رسول الله ﷺ اختير سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ليكون إماماً للمسلمين، وهكذا اجتمعت كلمة المسلمين، وهكذا توحدت صفوفهم، فعلى الإنسان

أن يختار دائماً، ولا يكون سلبياً في حياته، وأن يتخير لآخرته كما يتخير لدنياه، فلا يختار إلا من يَجد فيه الأهلية، من يصلح للقيادة والحكم، من يَجد فيه الأهلية لأن يحمي البلاد والعباد، لأن يَقف موقف الشجعان، الذين يدافعون عن الأوطان، فلا يتخاذلون ولا يذلون، ولا يهيمون أمام الأعداء، يختار أولئك الذي يُحكمون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويجعلون مصلحة الناس فوق مصالحهم الشخصية، يختار لدينه ودنياه من يجمع الكلمة ويوحد الصفوف ويجمع القلوب، لعل الله سبحانه وتعالى أن يجعل بهذا الإمام الخير والبركة، لذلك كان الواجب على الناس دائماً أن يتخيروا لأنفسهم، وأن يختاروا الخيار منهم، وأن يَجدوا في هذا المختار تلك الشروط والصفات، التي تتحقق لحماية الدين ولحماية البلاد، أسأل الله سبحانه أن يجمع قلوبنا على ما يرضيه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

مديرية أوقاف دمشق